

المرتكزات الاقتصادية للتقارب بين العلاقات

الروسية-التركية بعد عام 2011

محمد موفق أبو شومر*¹ كلية الاقتصاد - جامعة تشرين

الدكتور المشرف: محمد معن ديوب

المشرف المشارك: د. ميساء اسبر

ملخص:

يتناول البحث طبيعة العلاقات التركية-الروسية بناءً على تحديد المرتكزات الاقتصادية التي تجمع مصالح البلدين، وكما يلقي البحث الضوء على أصل تاريخ ونشأة العلاقات التركية-الروسية، وكان البحث قد أفرد تركيزاً خاصاً بطبيعة المرتكزات الاقتصادية الحاكمة لتطور عملية تقارب العلاقات التركية-الروسية، وتأثيرها على زيادة حالة التنسيق والتعاون رغم عدم التوافق الجيوسياسي بين روسيا وتركيا تجاه أزمات وملفات عديدة في البيئة الإقليمية والدولية الراهنة والمستقبلية، ويتوصل البحث في نتائجه إلى طرح سيناريوهات مستقبلية حول استشراف مستقبل تقارب العلاقات الروسية-التركية بناءً على المرتكزات الاقتصادية، وبناءً أيضاً على تداعيات انتهاء الحرب الروسية-الأوكرانية، والتي تتعلق بنتائجها بمستوى تشبيك أو انحسار العلاقات الاقتصادية الروسية-التركية، وذلك كله مرهون بتوازنات النظام الدولي والإقليمي الراهن والمستقبلي.

كلمات مفتاحية:

تركيا، روسيا، المرتكزات الاقتصادية، النظام الدولي، الاقتصاد الدولي.

¹ طالب دكتوراة- علاقات دولية - كلية الاقتصاد - جامعة تشرين - سورية.

Mhmdabwshwmr9@gmail.com

The Economic Pillars of Rapprochement Between Russian-Turkish Relations after 2011

Abstract

The research deals with the nature of the Turkish-Russian relations based on identifying the economic foundations that unite the interests of the two countries. The research also sheds light on the origin of the history and emergence of the Turkish-Russian relations. The research devoted a special focus to the nature of the economic foundations governing the development of the process of rapprochement of Turkish-Russian relations, and its impact on increasing the state of coordination and cooperation despite the geopolitical incompatibility between Russia and Turkey towards many crises and files in the current and future regional and international environment. In its results, the research proposes future scenarios about anticipating the future of the rapprochement of Russian-Turkish relations based on economic foundations. And also based on the repercussions of the end of the Russian-Ukrainian war, the results of which are related to the level of networking or the decline of Russian-Turkish economic relations, All of this depends on the current and future balances of the international and regional system.

Keywords: Türkiye, Russia, Economic Foundations, the International System, the International Economy.

مقدمة:

يؤدي العامل الاقتصادي دوراً محورياً في تعزيز عملية التقارب بين علاقات الدول مع بعضها البعض، ففي ظل نظام دولي يتجه نحو التعددية القطبية الدولية، يصبح للاقتصاد الدولي ومعه عملية تشبيك العلاقات الاقتصادية دوراً توجيهياً في تعزيز التفاهات والتقاربات بين الدول، ومن هذا المنطلق كانت للمرتكزات الاقتصادية تأثيرها الفعال في تعزيز عملية التقارب بين العلاقات الروسية-التركية، حيث أن كلا البلدين في حاجة بعضهما البعض من النواحي الاقتصادية والتجارية، وخاصةً في ظل توازنات النظام الدولي الجديد منذ ما بعد عام 2011 وحدث التوترات الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط، وأيضاً في ظل المتغيرات الدولية الجديدة مثل الحرب الروسية-الأوكرانية منذ 25/شباط لعام 2022، والذي أدت تلك الحرب إلى التركيز على اعتبار العامل الاقتصادي مرتكزاً أساسياً للتقارب الروسي-التركي، والسبب في ذلك بأن روسيا تسعى لتجاوز العقوبات الغربية والأمريكية المفروضة عليها بسبب حربها مع أوكرانيا وذلك عبر تعزيز العامل الاقتصادي والتجاري مع تركيا لكسر العزلة والحصار الاقتصادي الأمريكي والغربي على الاقتصاد الروسي، في حين تسعى تركيا إلى الاستفادة من روسيا من خلال تعزيز التعامل مع البنوك الروسية وشراء مصادر الطاقة الروسية (نفط وغاز)، وذلك بعد توقف الإمدادات الروسية من الطاقة إلى أوروبا، وهذا فضلاً عن عدم رغبة تركيا في

قطع العلاقات الاقتصادية والتجارية الجيدة مع روسيا والتي تمكن البلدين من تجاوز أي خلافات سياسية أو أمنية في ملفات منطقة الشرق الأوسط.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن الأهمية العلمية لهذا الموضوع في محاولة فهم طبيعة المرتكزات الاقتصادية ودورها في تعزيز عملية تقارب العلاقات الروسية-التركية، وذلك من خلال التعرف على أبرز محددات العلاقة الاقتصادية بين البلدين مثل الطاقة، السياحة، تجاوز العقوبات الدولية، فالعامل الاقتصادي بين العلاقات الروسية-التركية هو الأكثر تأثيراً في تعزيز عملية التقارب بين علاقات البلدين، في حين تهدف هذه الدراسة إلى معرفة تاريخ ونشأة العلاقات الروسية-التركية والدور الاقتصادي لهذه النشأة، وأيضاً التعرف على أهم خطوات البلدين في إطار تعزيز العلاقات الاقتصادية، ومن ثم يهدف البحث أيضاً إلى طرح ومعالجة سيناريوهات مستقبلية حول التقارب الروسي-التركي بناءً على المرتكزات الاقتصادية الحالية والمستقبلية.

إشكالية البحث:

في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية الراهنة والمستقبلية منذ ما بعد عام 2011، تتسم طبيعة العلاقات التركية-الروسية في طابع مميز يعبر عن ازدياد حالة التقارب والتفاهم أكثر من التباعد أو التعارض بين السياسات أو المواقف تجاه القضايا الدولية والإقليمية،

ويؤدي العامل الاقتصادي دوراً مهماً في تعزيز حالة التقارب هذه، وذلك بسبب طبيعة النظام الدولي الذي يتميز بشدة الترابط والاعتمادية الاقتصادية المتبادلة بين الدول، ومن هذا المنطلق يمكن طرح إشكالية البحث من خلال التساؤل الرئيس التالي:

ما هي طبيعة المرتكزات الاقتصادية الحاكمة لعملية التقارب بين العلاقات الروسية-التركية بعد عام 2011، وما هو مستقبل هذه العلاقة في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية الراهنة والمستقبلية؟

منهجية البحث:

- المنهج التحليلي-الوصفي: تم اعتماد هذا المنهج من أجل سرد وتتبع وقائع وأحداث نشأة العلاقات الروسية-التركية بناءً على المرتكزات الاقتصادية، وتحليلها ووصفها بشكل منهجي وعلمي دقيق، إضافةً إلى البحث حول أهداف ومصالح الدولتين في إطار المرتكزات الاقتصادية.

حدود البحث:

- الإطار الزمني: تمتد فترة دراسة هذا البحث منذ ما بعد عام 2011 إلى الوقت الراهن، مع التركيز على أعوام 2020-2023، حيث ازدادت فيه عمليات التقارب بين العلاقات الروسية-التركية بناءً على المرتكزات الاقتصادية وتعزيز مصالح البلدين.

- الإطار المكاني: تشمل نطاق هذه الدراسة هو دولة روسيا ودولة تركيا بشكل خاص، مع التطرق إلى تأثير البيئة الإقليمية والدولية المؤثرة على عملية تقارب العلاقات الروسية-التركية بناءً على المرتكزات الاقتصادية.

الإطار النظري:

أولاً- تاريخ ونشأة العلاقات الروسية-التركية:

يعود تاريخ التعاون بين تركيا وروسيا إلى أكثر من 5 قرون، فقد وصل أول سفير روسي إلى إسطنبول عام 1497، وكان التاريخ الرسمي لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين هو 3/يونيو/حزيران لعام 1920، ويعتمد التقارب الروسي-التركي على إطار قانوني واسع، حيث أكثر من 80 وثيقة أساسية سارية المفعول بين البلدين، بما في ذلك معاهدة الصداقة والأخوة المؤرخة 16 مارس/آذار لعام 1921، ومعاهدة مبادئ العلاقات في 25 مايو/أيار 1992، والإعلان المشترك بشأن التقدم نحو مرحلة جديدة في العلاقات بين الاتحاد الروسي وجمهورية تركيا وتعميق الصداقة والشراكة متعددة الأوجه في 13 فبراير/شباط لعام 2009².

² من موقع السفارة الروسية في تركيا، استرد في 2023/5/1، عبر الرابط:

<https://turkey.mid.ru/ru/countries/bilateral-relations/political-relations/>

تتمتع تركيا بعلاقة طويلة ومعقدة مع روسيا تمتد إلى قرون ماضية، فقد خاض كلا البلدين حروباً عديدة منذ أيام (العثمانيين) الأتراك و(القيصرية) الروس³، وتميز التاريخ المضطرب للعلاقات التركية-الروسية بـ 13 حرباً دموية، كان آخرها الحرب العالمية الأولى 1914-1918، وبحلول نهاية تلك الحرب عندما تمت الإطاحة بالإمبراطوريتين (القيصرية-الروسية) و(العثمانية-التركية)، أدى ذلك إلى تحول غير مسبوق في التفاعلات الديناميكية الداخلية والخارجية وإلى فصل جديد وأكثر إيجابية في العلاقات الثنائية الروسية-التركية، وطورت الحكومة الروسية التي يقودها آنذاك البلاشفة بقيادة فلاديمير لينين والقوميين الأتراك بقيادة مصطفى كمال أتاتورك علاقات ودية كبيرة، ولكن من جانب آخر قام السوفييت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية 1939-1945 بتقديم مطالب إقليمية على تركيا من ضمنها موضوع المضائق الدولية (البوسفور والدردينيل) وطبيعة السيطرة عليها، حيث أوضح ستالين رغبته في رؤية حكومة موالية للسوفييت في أنقرة، وهذا الأمر دفع تركيا إلى اللجوء للتحالف مع المحور الأمريكي-الأوروبي بقيادة الناتو منذ عام 1952، ولكن على الرغم من ذلك ظهرت فترات من التقارب المبكر بين العلاقات الروسية-التركية خلال حقبة الحرب الباردة بدايةً تحت قيادة رئيس الوزراء

³ الحروب الروسية-العثمانية 1568-1878: هي سلسلة من الحروب التي نشبت بين الإمبراطورية الروسية والدولة العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والعشرين، انتصر الروس في معظمها حتى نهاية القرن السابع عشر، وقد أنهكت هذه الحروب وغيرها السلطنة العثمانية حتى بداية القرن العشرين، وكانت هذه الحروب في الأساس لوقف الأطماع الروسية في غزو أراضي ولاية القرم العثمانية، ولاحقاً لرغبة الروس في السيطرة على البحر الأسود وممراته (البوسفور والدردينيل) نحو مياه المتوسط الدافئة، وانتهت أغلب المعارك بانتصار روسيا مما أدى في معظم الأحيان بمعاهدات قاسية على الدولة العثمانية تخلت فيها عن ولاية القرم، ولاحقاً سمحت بمرور السفن الروسية من البوسفور دون قيود.

التركي آنذاك بولنت أجاويد كان هناك تقارباً مع السوفييت خلال السبعينيات بعد أزمة قبرص 1974 وفرض العقوبات الأمريكية على تركيا، وفي الثمانينيات بقيادة رئيس الوزراء التركي آنذاك تورغوت أوزال أدت اتفاقية الغاز الطبيعي بين روسيا وتركيا لعام 1984 إلى ظهور علاقات تجارية واستثمارية ناشئة، وتأسيس مجلس العلاقات الاقتصادية الخارجية بين البلدين، ولذلك شكلت هذه التطورات التي حدثت في النصف الثاني من الثمانينيات قبل انهيار الاتحاد السوفييتي وانتهاء الحرب الباردة نقطة تحول حقيقية في عملية التقارب بين العلاقات الروسية-التركية، وخلقت الأساس للشراكة الاقتصادية القوية بين البلدين، وأدت اتفاقية الغاز الطبيعي بين البلدين إلى تحسين ظروف الاقتصاد التركي حيث تتطلب تلك الاتفاقية من الاتحاد السوفييتي آنذاك شراء سلع وخدمات من تركيا مقابل صادرات الغاز الطبيعي عبر أراضي تركيا⁴.

وأما بعد نهاية الحرب الباردة 1945-1991 ظهرت فكرة في الأوساط الداخلية للنخب التركية تقوم على رأي الجنرال التركي (تونسل كيلينتش) الذي جادل "بأن الاتحاد الأوروبي لن يعترف بتركيا أبداً كدولة عضو في الاتحاد الأوروبي، مما يعني بأن تركيا

⁴ Ziya Öniş and Şuhnaz Yılmaz, **Turkey and Russia in a shifting global order: cooperation, conflict and asymmetric interdependence in a turbulent region**, Third World Quarterly, 2015, p: 4-5.

يجب أن تغادر الناتو التي تقوده الولايات المتحدة وتتحالف بدلاً من ذلك مع كل من روسيا وإيران⁵.

تعقيباً على ما تقدم يمكن الإشارة إلى أن تاريخ نشأة العلاقات الروسية-التركية بعد انتهاء الحرب الباردة يعود إلى عام 1992، حيث كانت تركيا في مقدمة الدول التي اعترفت بدولة روسيا الاتحادية كدولة وارثة للاتحاد السوفيتي، لأن الاعتراف صدر يوم تفكك هذا الاتحاد في 24/كانون الأول لعام 1991، وبعد زيارات رسمية متبادلة على مستوى وزيري خارجية البلدين، وقع رئيس الوزراء التركي آنذاك سليمان ديميريل مع الرئيس الروسي الأسبق بوريس يلتسن في موسكو، بتاريخ 25/أيار لعام 1992، معاهدة "مبادئ العلاقات بين جمهورية تركيا والاتحاد الروسي"، ولهذا اعتبرت تلك المعاهدة بمثابة الأساس لمرحلة جديدة من العلاقات التركية-الروسية والمبادئ التي تشكل أساساً لها بين البلدين، وشددت المعاهدة على الجوانب الندية في العلاقات، مثل احترام السيادة والسلامة الإقليمية، والمساواة في الحقوق والمصالح المتبادلة، والامتناع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها كوسيلة لحل المشكلات العالقة بين البلدين⁶.

⁵ Kirişci, Kemal. The implications of a Turkish-Russian rapprochement. On the Site of Brookings. of the link retrieved in a date 1/1/2023:

<https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2016/08/10/the-implications-of-a-turkish-russian-rapprochement>

⁶ خولي، معمر فيصل سليم، العلاقات التركية-الروسية من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة: قطر، بيروت: لبنان، الطبعة الأولى، 2014، ص: 9-10.

في الإطار العام برزت عدة عوامل تؤكد بداية عملية التقارب بين العلاقات الروسية-التركية بعد سنوات انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي في عام 1991، وتجلت هذه العوامل في الآتي⁷:

1. إدراك روسيا بأن التحرك أو النشاط التركي في آسيا الوسطى وجنوب القوقاز لا يشكل أي تهديد جدي لنفوذها في تلك المنطقتين.
2. انتهاء حروب يوغوسلافيا في البوسنة والهرسك بموجب اتفاقية "دايتون" في 10/كانون الثاني لعام 1995.
3. انتهاء حرب الشيشان الأولى لعام 1996، وحرب الشيشان الثانية لعام 2009.
4. تراجع الدعم الروسي للقضية الكردية في منطقة الشرق الأوسط وهذا ما يعزز من التقارب مع تركيا في هذا الإطار.
5. توقيع اتفاق مد خط أنبوب الغاز "السييل الأزرق" في 15/كانون الأول لعام 1997، والذي يهدف إلى ربط روسيا مع تركيا من خلال قاع البحر الأسود، ويرمز هذا الاتفاق إلى واقعية تعزيز المرتكزات الاقتصادية بين البلدين، إذ رأت روسيا في تركيا من خلال هذا الاتفاق بأنها شريكاً مهماً ومستقبلياً واعداءً، في حين أظهرت تركيا انفتاحاً عملياً باتجاه تعزيز التفاهم والتقارب مع روسيا في العديد من ملفات النظام الدولي والإقليمي.

⁷ خولي، معمر فيصل سليم، المرجع السابق، ص: 19-20.

6. انتهاء حرب مرتفعات قره باغ الأولى بين أرمينيا وأذربيجان بموجب اتفاقية وقعت لوقف القتال في 12/أيار لعام 1994، ويجدر بالذكر بأن الحرب الثانية التي اندلعت في عام 2020 انتهت بموجب اتفاقية لوقف إطلاق النار في 10/تشرين الثاني لعام 2020 وذلك برعاية روسية-تركية مشتركة لوقف تداعيات تلك الحرب في القوقاز.

7. في 19/12/2016 اغتيل السفير الروسي لدى تركيا أ.ج.كارلوف في أنقرة نتيجة هجوم إرهابي، ونددت القيادة التركية بهذه الجريمة ووصفتها بأنها "استفزاز يهدف إلى تقويض عملية التطبيع التدريجي للعلاقات الروسية-التركية"، واتفق الطرفان على إقامة تعاون وثيق بين هيئات التحقيق في البلدين لإجراء تحقيق شامل في ملابسات الجريمة، والتعرف على منظميها ومعاقبتهم، وكذلك اتخاذ أكثر الإجراءات فعالية لضمان سلامة المواطنين الروس والمؤسسات الأجنبية وموظفيها، وعلى الرغم من حادثة الاغتيال والأزمة السياسية الداخلية الحادة في تركيا المرتبطة بمحاولة الانقلاب في 2016، استمرت العلاقات الروسية التركية في التطور بشكل مطرد، وقد اكتسب الحوار السياسي ديناميات عالية⁸.

⁸ من موقع السفارة الروسية في تركيا، استرد في 2023/5/1، عبر الرابط:

<https://turkey.mid.ru/ru/countries/bilateral-relations/political-relations/>

8. في عام 2018 عقد رئيسا روسيا وتركيا 7 اجتماعات و 18 محادثة هاتفية، وفي نفس العام عُقد الاجتماع السادس لمجموعة التخطيط الاستراتيجي المشترك (JSPG) في موسكو برئاسة وزيرى خارجية البلدين، وقد استمرت الاتصالات السياسية الروسية التركية في التطور بشكل ديناميكي في عام 2019 وزار أردوغان موسكو لعقد مفاوضات مع الرئيس الروسي بوتين في 8 أبريل/نيسان 2019⁹.

من ناحية أخرى لأبد من الإشارة إلى أنه خلال سنوات 2010-2023 مرت العلاقات الروسية-التركية في أكثر مراحل التعاون والتنافس ذات الطابع الاستراتيجي، ولكن على الرغم من ذلك تجلت عملية التقارب الرئيسية بين البلدين بسبب المنافسات الجيوسياسية بين القوى الدولية والإقليمية في منطقة الشرق الأوسط بعد عام 2011 مثل أزمات (سورية، ليبيا، اليمن)، وكما أدت عملية تراجع وانحسار النفوذ الأمريكي من منطقة الشرق الأوسط، واشترك القيادة الروسية برئاسة (بوتين) والقيادة التركية برئاسة (أردوغان) برؤية جيوسياسية مشتركة ومتقاربة إلى تحقيق تعاوناً وتفاعلاً أساسياً في مجال رفض القيادة الأحادية الأمريكية، وإصرارهم على إنشاء وتعزيز مسار نظام دولي متعدد الأقطاب وبعيداً عن الهيمنة الأمريكية والأوروبية المطلقة، وإن أحد مجالات التقارب الناشئ بين البلدين هو تشابه النظام السياسي في كل من روسيا وتركيا، حيث

⁹ المرجع الإلكتروني السابق، الرابط:

<https://turkey.mid.ru/ru/countries/bilateral-relations/political-relations/>

كلا البلدين يحكمهم نظام رئاسي وسيطرة مطلقة للزعامة الكاريزمية للشخصية (البوتينية) و(الأردوغانية)، حيث يميل الرئيس الروسي (بوتين) والرئيس التركي (أردوغان) إلى تعزيز السلطة الشخصية وصنع القرار السياسي الخارجي بشكل حاسم ومركزي للغاية، ويتخذ كلا الزعيمين خطاباً قومياً مناهضاً للغرب والولايات المتحدة الأمريكية، وعلاوةً على ذلك يسعى كلا البلدين إلى تحقيق أكبر قدر من الاستقلال الذاتي عن النظام الدولي التي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية، ويبحث كلا البلدين عن دور متميز في فضاء ما بعد الإمبراطورية (الروسية-الاتحاد السوفييتي) و(التركية-العثمانية)، وتحفز مثل هذه الطموحات كلا الزعيمين على تصوير نفسيهما على أنهما بمثابة جسور تربط الماضي بالحاضر والمستقبل، وترتبط أوروبا بآسيا والقوى الصاعدة التي تستخدم الخطاب الحضاري لدعم مطالبهم الجيوسياسية في البيئة الدولية والإقليمية الراهنة والمستقبلية¹⁰.

ثانياً- المرتكزات الاقتصادية للعلاقات الروسية-التركية:

تاريخياً تعود بداية العلاقات الاقتصادية بين روسيا وتركيا إلى عام 1992، حيث بلغ معدل التبادل التجاري بين البلدين منذ عام 1992 حتى وقوع الأزمة الاقتصادية في روسيا لعام 1998، ما بين 8 و 10 مليار دولار سنوياً، واستناداً إلى مجلس الأعمال الروسي-التركي، بلغت الصادرات التركية إلى روسيا حوالي 600 مليون دولار في عام

¹⁰ Yeghia Tashjian, **The Russian-Turkish "Co-opetition" in Times of Regional Crisis**, The Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs at the American University of Beirut, March 2022. p: 2-3.

2000، بينما بلغت الصادرات الروسية إلى تركيا في العام نفسه حوالي 3 مليار دولار، في حين بلغت ما تسمى بـ "تجارة الحقيبة" بين البلدين، وهي تجارة غير مسجلة، قدر حجمها في فترة 1991-1996 بين 6 و 10 ملايين دولار سنوياً، وأما في مجال الاستثمار بلغت استثمارات شركات البناء التركية في روسيا حتى نهاية عام 1998 ما يعادل 9,610 مليار دولار، وقد تأثرت شركات البناء التركية بالأزمة الاقتصادية التي لحقت بروسيا، إذ لم تتجاوز استثماراتها في قطاع البناء في أعوام الأزمة أكثر من 100 مليون دولار، وكانت روسيا قد بدأت استثماراتها في تركيا لعام 1995 في مجال المشروبات "الكحولية" وقطاع السياحة، فكان عدد السياح الروس يتزايد في تركيا حتى وصل في عام 1999 إلى ما يقارب بـ 438,719 سائحاً¹¹.

من جانب آخر برز تطور مهم على صعيد تأسيس العلاقات الروسية-التركية بناءً على المرتكزات الاقتصادية في عام 2002 عندما وصل حزب العدالة والتنمية إلى الحكم في تركيا، حيث ازداد التقارب الدبلوماسي بين تركيا وروسيا في العديد من الملفات الدولية والإقليمية، ومنها محاربة الإرهاب في الشيشان، والتأكيد على الاستقلالية في السياسة الخارجية لكلا البلدين بعيداً عن مصالح وأهداف الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الأمر انعكس على مستوى عملية التقارب في العلاقات الاقتصادية بين البلدين، فعلى مستوى التبادل التجاري ارتفع من 5,031 مليار دولار في عام 2002، إلى 10,860 مليار

¹¹ خولي، معمر فيصل سليم، مرجع السابق، ص: 18-19.

دولار في عام 2004، وعلى مستوى قطاع الطاقة، زاد اعتماد تركيا على الغاز الطبيعي الروسي في تلك المدة من 17,624 مليار دولار إلى 22,174 مليار دولار، كما تزايد معدل التبادل التجاري بين البلدين تزايداً تدريجياً من 21,044 مليار دولار في عام 2006 إلى 28,235 مليار دولار، حتى وصل إلى 37,847 مليار دولار في عام 2008، كما ازداد أيضاً التعاون الاقتصادي بين البلدين في مجال الطاقة، إذ بلغ استيراد تركيا من النفط الروسي 29%، ومن الغاز الطبيعي الروسي 63%، وأما في مجال الاستثمارات بلغت الاستثمارات التركية في روسيا نحو 7 مليار دولار في عام 2008، وتركزت في قطاعات البناء والمواد الغذائية والصناعات الإلكترونية، في حين بلغت الاستثمارات في تركيا لعام 2008 مبلغ 4 مليار دولار، وكانت تتركز في مجال الاتصالات ومشاريع الطاقة¹².

أما بعد عام 2011 وما حدث في منطقة الشرق الأوسط من توترات جيوسياسية عديدة في كل من (سورية، ليبيا، اليمن)، وتوتر العلاقات الروسية-التركية في سورية وليبيا، حيث يقف كل من الطرفين على طرفي نقيض في دعم الأطراف المتعلقة بهذه النزاعات، ولكن هذا الأمر لم يمنع من تقدم العلاقات الاقتصادية الروسية-التركية، حيث بلغ معدل التبادل التجاري بين البلدين في نهاية عام 2012 ما يقارب 33,303 مليار دولار، إذ صدرت تركيا إلى روسيا ما قيمته 6,683 مليار دولار، واستوردت منها ما قيمته

¹² المرجع السابق، ص: 30-49.

26,620 مليار دولار، ويتبين بأن ميزان التبادل التجاري يميل إلى مصلحة روسيا، والسبب في ذلك يعود إلى اعتماد تركيا بشكل كبير على استيراد الطاقة من روسيا، فقد بلغت وارداتها من الغاز الطبيعي ما نسبته 45,5% وبقيمة إجمالية بلغت 10,987 مليار دولار، وأما النفط بلغت نسبة ما استورد منه 19,9% وبقيمة 4,7 مليار دولار، في حين بلغ استيراد الفحم 1,521% وبقيمة 6,3 مليار دولار، ويتبين مما سبق مدى اعتماد الاقتصاد التركي على مصادر الطاقة الروسية، وخصوصاً الغاز الطبيعي، وهذا الأمر سوف يشكل تأثيراً متنامياً للدور الروسي في مستقبل الاقتصاد التركي، وأما بالنسبة لقطاع الاستثمارات بلغت استثمارات تركيا في روسيا حوالي 6 مليارات دولار في نهاية عام 2012، كما بلغت استثمارات روسيا في تركيا 4 مليار دولار في عام 2012، وكما يجدر بالذكر إلى أنه سعيًا إلى تعزيز التعاون الاقتصادي بين البلدين، قام كل منهما بتخفيف الرسوم الجمركية المفروضة على تبادل السلع، وكما قام كل من البلدين بإلغاء تأشيرات الدخول بينهما، وهو ما نشط قطاع السياحة حتى بلغ عدد السياح الروس في تركيا نحو 4 ملايين روسي في نهاية عام 2012، في مقابل 400 ألف سائح تركي يزورون روسيا¹³.

لذلك يتبين مما تقدم بأن الجانب الاقتصادي والتجاري يمثل الحجر الأساس في عمليات التقارب بين العلاقات التركية-الروسية، حيث تمثل تركيا سابع أكبر شريك تجاري

¹³ خولي، معمر فيصل سليم، مرجع السابق، ص: 97-98.

لروسيا، كما أنها الوجهة الأولى للسياح الروس، وعلى الجانب الآخر تشغل روسيا المركز الثاني بين الشركاء التجاريين الرئيسيين لتركيا، كما يجدر بالذكر بأنه قد نمت التجارة بين روسيا وتركيا إلى 25,6 مليار دولار في عام 2012، وبزيادة قدرها أكثر من 15% عن عام 2011¹⁴، وكما تطورت العلاقات بين روسيا وتركيا في مختلف المجالات بنشاط في السنوات الأخيرة، وحقق التعاون الاقتصادي مؤشرات عالية، ويجدر بالذكر إلى أنه في عام 2003 تم إطلاق خط أنابيب الغاز الروسي التركي "بلو ستريم" تحت البحر الأسود، وإن أكبر مشروع استثماري روسي في تركيا هو بناء أول محطة طاقة نووية تركية "أكويو" في محافظة مرسين، وفي 2013 تم افتتاح رسمياً خدمة العبارات بالسكك الحديدية بين مينائي كافكاز وسامسون¹⁵.

أيضاً في ضوء المعطيات السابقة لا بد من الإشارة إلى أنه في عام 2018 ارتفع حجم التبادل التجاري بين البلدين وفقاً لدائرة الجمارك الفيدرالية الروسية_ بنسبة 15.8%. مقارنة بعام 2017 وبلغ 25.5 مليار دولار، بما في ذلك الصادرات التي بلغت 21.3 مليار دولار (زيادة. بنسبة 14%)، والواردات 4.2 مليار دولار (بزيادة قدرها 23.5%)، وفي عام 2018 احتلت تركيا المركز السادس بين شركاء التجارة الخارجية لروسيا (3.7% من حجم التجارة الخارجية)، بما في ذلك المركز الخامس من حيث الصادرات

¹⁴ طلعت (2013). ص: 105.

¹⁵ من موقع السفارة الروسية في تركيا، استررد في 2023/5/1، عبر الرابط:

<https://turkey.mid.ru/ru/countries/bilateral-relations/political-relations/>

والمركز 12 من حيث الواردات، وبحسب البنك المركزي الروسي بلغ حجم الاستثمارات الروسية المباشرة في الاقتصاد التركي 405 ملايين دولار في 2018، وبالمقابل بلغت الاستثمارات التركية في الاقتصاد الروسي 113 مليون دولار¹⁶.

نقطة أخرى في مجال دور المرتكزات الاقتصادية في تعزيز العلاقات الروسية-التركية لابد من التوضيح بأن الآلية الرئيسية لتنسيق التعاون التجاري والاقتصادي بين البلدين هي ما تسمى بـ "اللجنة الحكومية الروسية-التركية المشتركة للتعاون التجاري والاقتصادي"، ويعمل هذا الهيكل في إطار مجلس التعاون رفيع المستوى برئاسة رئيسي روسيا وتركيا منذ عام 2010، وإن الأشكال الرئيسية للتعاون الاقتصادي الثنائي، بالإضافة إلى الإمدادات السلعية والتفاعل الاستثماري، تتمثل بـ تبادل وفود ممثلي السلطات الإقليمية ودوائر الأعمال، وتنظيم المعارض والأسواق، والفعاليات الثقافية، وإقامة علاقات توأمة بين المدن* في كلا البلدين¹⁷.

من جانب آخر يشير موقع وزارة الخارجية التركية إلى أن العلاقات الاقتصادية والتجارية تشكل القوة الدافعة وراء تقارب العلاقات التركية-الروسية، حيث كانت روسيا واحدة من أهم الشركاء التجاريين لتركيا، وقد بلغ حجم التجارة بين الدولتين مبلغاً بقيمة 26,309

¹⁶ من موقع السفارة الروسية في تركيا، استرد في 2023/5/1، عبر الرابط:

<https://turkey.mid.ru/ru/countries/bilateral-relations/political-relations/>

¹⁷ توأمة المدن*: هو أساساً الاتفاق بين مدينتين على التعاون في مختلف المجالات والأمور التي تعني التجمعات السكنية المدنية، ويوقع عليها عادةً صاحب أعلى سلطة في كلا المدينتين، يقوم فريق من كلا المدينتين بإعداد بنود الاتفاقية، وعادةً تشمل هذه الاتفاقية نقاط تحدد مدى وشكل التعاون بين المدينتين في تبادل المعلومات والخبرات والحلول، كما تكون المدينتان مرتبطتين عبر خطوط الطيران بصور مباشرة رغم أن هذا ليس شرطاً ضرورياً، ونسبياً يكون السفر بينهما سهلاً.

مليار دولار في عام 2019، في حين بلغت قيمة الصادرات التركية مبلغاً قيمته 3.854 مليار دولار، وأما الواردات فقد بلغت مبلغاً قيمته 22.454 مليار دولار، وكما تم إنجاز إجمالي عدد المشاريع منذ عام 1972 بقيمة إجمالية تزيد عن 75.7 مليار دولار حتى عام 2023 من قبل المقاولين الأتراك في روسيا، بينما بلغت الاستثمارات المتبادلة 10 مليار دولار لكل من البلدين، ومن جانب آخر تشكل الطاقة أحد أهم عناصر وأسباب تقارب العلاقات بين تركيا وروسيا، وذلك من خلال مشروع محطة الطاقة النووية TurkStream و Akkuyu، حيث يتم مواصلة التعاون في مجال الطاقة مع روسيا التي تعد من بين أهم موردي الطاقة الرائدة لتركيا، وتم افتتاح خط أنابيب ترك ستريم للغاز الطبيعي في 8 يناير/كانون الثاني لعام 2020، وعلى صعيد آخر يشكل التعاون في مجال السياحة بين تركيا وروسيا جانباً مهماً آخر للعلاقات الثنائية، مع وجود أكثر من 7 ملايين سائح روسي في تركيا وذلك إحصاء عام 2019¹⁸.

تأسيساً على ما تقدم تشير أحدث الأرقام الصادرة عن المكتب الإحصاء التركي توركسات (Turksat) حول التجارة الخارجية التركية وأهم الشركاء الرئيسيين، حيث تحتل روسيا الشريك الرئيسي الثالث (تسبقها ألمانيا، والولايات المتحدة) في الصادرات التركية، وذلك بمبلغ مليار و43 مليون دولار في شهر كانون الثاني/يناير لعام 2023،

¹⁸ Relations between Türkiye and the Russian Federation. On the site of Ministry of Foreign Affairs of Türkiye. of the link retrieved in a date 1/3/2023:

<https://www.mfa.gov.tr/relations-between-turkey-and-the-russian-federation.en.mfa>

في حين احتلت روسيا الشريك الرئيسي الأول للواردات إلى تركيا (تليها سويسرا، الصين، ألمانيا، الولايات المتحدة)، وذلك بمبلغ 5 مليار ومليون دولار في شهر كانون الثاني/يناير لعام 2023¹⁹.

بناءً على ما تقدم يمكن الإشارة إلى أن السمة المركزية للعلاقات التركية-الروسية هي قدرة كل من البلدين على تجزئة تلك العلاقات، والهدف من هذه التجزئة هو أن المرتكزات الاقتصادية المزدهرة للعلاقات الروسية-التركية تبقى منفصلة تماماً عن عدم التوافق الجيوسياسي بين البلدين تجاه ملفات أمنية وسياسية وعسكرية في توازنات البيئة الإقليمية والدولية مثل أزمات (سورية، ليبيا، أوكرانيا... وغيرها)، وبمعنى آخر تتفق القيادة التركية والروسية على تجاهل أي قضايا تختلف وجهات نظرهما بشأنها مع السعي بشكل مستمر على تعزيز المرتكزات الاقتصادية الحاكمة للعلاقات بين البلدين، والدليل على أهمية هذه المقاربة الاقتصادية بين الجانبين يتمثل من خلال رغبة روسيا في جعل تركيا معبراً لمرور الطاقة الروسية إلى جنوب وشرق ووسط أوروبا بديلاً عن أوكرانيا²⁰، وهذا الأمر أصبح ذو أهمية أكثر بعد تداعيات الحرب الروسية-الأوكرانية المندلعة منذ 25/شباط/لعام 2022، حيث أدت تداعيات تلك الحرب إلى زيادة مستوى التعاون

¹⁹ Dış Ticaret İstatistikleri, Ocak 2023. On the site of Türkiye İstatistik Kurumu. of the link retrieved in a date 10/4/2023:

<https://data.tuik.gov.tr/Bulten/Index?p=Foreign-Trade-Statistics-January-2023-49621>

²⁰ Isachenko, Daria, **Turkey and Russia The Logic of Conflictual Cooperation**, Stiftung Wissenschaft und Politik German Institute for International and Security Affairs, , Berlin: Germany, October 2021, p: 15.

والتسيق التركي-الروسي بناءً على المحددات الاقتصادية مثل اتفاقية تصدير الحبوب من أوكرانيا عبر تركيا في عام 2022 برعاية الأمم المتحدة.

يُستنتج مما سبق مدى أهمية العامل الاقتصادي والتجاري في تعزيز حالة التقارب التركي-الروسي وتمتين العلاقات التركية-الروسية، وإن كلا البلدين في حاجة بعضهما البعض في ظل تداعيات المنفعة الاقتصادية المتبادلة بينهما في ظل تطورات البيئة الدولية والإقليمية الراهنة والمستقبلية، فالعلاقات الروسية-التركية والتقارب الناشئ بين قادة البلدين في العديد من الملفات الجيوسياسية الدولية يبقى ضمن إطار تفعيل دور المرتكزات الاقتصادية للعلاقات الروسية-التركية، والتي تتمثل أبرزها في ملفات الطاقة والسياحة والتبادل التجاري.

ثالثاً- سيناريوهات التقارب الروسي-التركي بناءً على المرتكزات الاقتصادية:

إن أحد السمات البارزة في السنوات الـ 23 الماضية من العلاقات التركية-الروسية هو مجال تعزيز المرتكزات الاقتصادية لطبيعة العلاقات بين البلدين، حيث كان نمو العلاقات الاقتصادية التركية-الروسية يجري في إطار العديد من المجالات منها التبادل التجاري ومجال الطاقة والسياحة، والبناء، وهذا الأمر قد حدث على الرغم من الصدمات والخلافات الآنية والتكتيكية بين الطرفين في العديد من ملفات منطقة الشرق الأوسط

(سورية، ليبيا)، أو منطقة شرق أوروبا (أوكرانيا)، ولكن في الإطار العام يطرح الباحث ثلاث سيناريوهات مستقبلية تحدد طبيعة مستقبل المرتكزات الاقتصادية للعلاقات الروسية-التركية، وذلك وفقاً لما يلي:

1. سيناريو تعزيز التشابك والترابط الاقتصادي بين البلدين:

يفترض هذا السيناريو استمرار تشبيك العلاقات الاقتصادية الروسية-التركية بناءً على مؤشرات متعلقة بحجم النفوذ الروسي المتزايد في العلاقات الدولية، وأيضاً انتهاء الحرب الروسية-الأوكرانية بانتصار روسيا على أوكرانيا وحلف الناتو من ورائها، وهذا الأمر في حال حدوثه سيؤدي ذلك إلى سيطرة روسيا على أجزاء واسعة من البحر شاطئ البحر الأسود، وأيضاً نفوذاً روسيا متزايداً في شرق ووسط أوروبا، وإن انعكاس هذا الانتصار الروسي سيؤدي إلى قيام تركيا باللجوء إلى تحسين وتعزيز الاتفاقيات المشتركة في مجال الطاقة والسياحة وتعزيز التبادل التجاري مع روسيا، وأيضاً جعل تركيا وسيطاً دولياً في اتفاقيات متعلقة بالوضع الأمني والاقتصادي في أوكرانيا، وهذا الأمر سيكون مدفوعاً بتزايد النفوذ الروسي سياسياً واقتصادياً على صعيد البيئة الدولية والإقليمية الراهنة والمستقبلية، وإن احتمالية تحقق هذا السيناريو سيكون مرتبطاً بمدى صمود روسيا في حربها مع أوكرانيا والغرب والولايات المتحدة الأمريكية، وأيضاً مدى تعاون الصين في دعم الاقتصاد الروسي وعدم السماح بانهيائه داخلياً إثر العقوبات وحظر شراء النفط الروسي وتحديد سقف لسعر النفط الروسي.

2. سيناريو انحسار التشابك والترابط الاقتصادي بين البلدين:

يفترض هذا السيناريو حدوث تراجعاً حاداً في مستوى تشبيك العلاقات الاقتصادية الروسية-التركية، وأيضاً حدوث أزمات اقتصادية حادة في روسيا بسبب تداعيات الحرب الروسية-الأوكرانية، وتداعيات العقوبات الأمريكية والغربية والحصار والعزلة الدولية على روسيا، وأيضاً يفترض هذا السيناريو انتهاء الحرب الروسية-الأوكرانية وخسارة روسيا لأراضي كانت قد سيطرت عليها، ومن ثم زيادة النفوذ الغربي والناو والاتحاد الأوروبي في أوكرانيا، مقابل تراجع وانحسار النفوذ الروسي، وانهيار قوة الاقتصاد الروسي، ولهذا فإن تركيا سوف تكون مضطرة إلى الانسحاب من الأسواق الروسية، وعدم التعامل مع البنوك الروسية، وأيضاً ربما المشاركة في العقوبات الأمريكية والغربية على روسيا، مقابل وعود أمريكية-أوروبية في إدخال تركيا ضمن الاتحاد الأوروبي، وأيضاً تقديم معونات مالية كبيرة للحكومة التركية، وعلى الرغم من هذا الافتراض إلا أن هذا السيناريو يعد مستبعداً في ظل توازنات القوة القارية لروسيا وشبكة تحالفاتها مع الصين وإيران ودول الخليج العربي، حيث من الواضح بأن النفوذ الروسي بدأ يتصاعد على حساب تراجع النفوذ الأمريكي-الغربي في مناطق عديدة من العالم.

3. سيناريو تحقيق التوازن والترابط الاقتصادي بين البلدين بناءً على المصالح

المشتركة:

يفترض هذا السيناريو حصول حالة من التوازن المعقول بين العلاقات الاقتصادية التركية-الروسية بناءً على تعزيز المصالح المشتركة لكل من البلدين، أي بدون حدوث حالة من النفوذ المتزايد لحساب طرف على طرف آخر، وهذا الأمر سوف يكون متعلقاً بحصول تسوية دولية تخص مسألة الحرب الروسية-الأوكرانية، ففي حال حدوث اتفاق نهائي بين روسيا والولايات المتحدة حول تسوية المسألة الأوكرانية بكل يرضي جميع الأطراف، سيؤدي ذلك إلى تحقيق توازن اقتصادي فعال واستراتيجي بين العلاقات الروسية-التركية، وسوف تدخل الأسواق الروسية والتركية في حالة انتعاش متبادل ونمو اقتصادي متوقع في كل من اقتصاد البلدين، وهذا الأمر يبقى مرهوناً بتوازنات الحرب الروسية-الأوكرانية، وطبيعة خروج تسوية نهائية لا تؤدي إلى تجدد تلك الحرب مستقبلاً.

خاتمة:

إن السمة الأساسية لطبيعة عملية التقارب في العلاقات التركية-الروسية تتجلى في مسألة المرتكزات الاقتصادية الحاكمة لتعزيز وتشبيك المصالح الاقتصادية بين البلدين، حيث تتميز تركيا بأنها دولة عبور مهمة لمصادر الطاقة الروسية، ودولة إقليمية تسيطر على مضائق الدردنيل والبوسفور التي تربط البحر المتوسط بالبحر الأسود، وهي دولة قريبة جغرافياً من مساحات النفوذ الروسي المتزايد في العديد من المناطق مثل (القوقاز، شرق أوروبا، سوريا والعراق)، وهذا فضلاً عن درجة التقارب بين السمات الشخصية لقادة كل من روسيا وتركيا، حيث يشترك كل من (أردوغان) و(بوتين) في نظرة متوازنة تجاه تعزيز العامل الاقتصادي بشكل رئيسي بين البلدين، وتجاوز الخلافات السياسية والأمنية والعسكرية، ويرغب كل منهما بتعزيز الاستقلالية في السياسة الخارجية ومواجهة القوة الأحادية الأمريكية والغربية، ومن ثم التوجه نحو نظام متعدد الأقطاب، ولهذا من المتوقع بأن تبقى المرتكزات الاقتصادية تؤدي دوراً استراتيجياً في تعزيز عملية التقارب بين العلاقات الروسية-التركية، وهذا الأمر متعلق بحاجة روسيا الشديدة إلى الاقتصاد التركي، بسبب الحصار الأمريكي والغربي على روسيا بسبب حربها في أوكرانيا، وهذا الأمر في المقابل يجعل من تركيا وسيطاً دولياً للاتفاقيات والتسويات السياسية والاقتصادية، ومنفذاً للاقتصاد الروسي للهروب من العقوبات، ولذلك إن لتركيا مصلحة اقتصادية في استمرار شراء النفط الروسي لتأمين مصادر الطاقة التي يحتاجها الاقتصاد التركي المتنامي.

قائمة المراجع:

أولاً- المراجع باللغة الإنجليزية:

1. Yeghia Tashjian, The Russian-Turkish “Co-opetition” in Times of Regional Crisis, The Issam Fares Institute for Public Policy and International Affairs at the American University of Beirut, March 2022.
2. Isachenko, Daria, **Turkey and Russia The Logic of Conflictual Cooperation**, Stiftung Wissenschaft und Politik German Institute for International and Security Affairs, , Berlin: Germany, October 2021.
3. Ziya Öniş and Şuhnaz Yılmaz, **Turkey and Russia in a shifting global order: cooperation, conflict and asymmetric interdependence in a turbulent region**, Third World Quarterly, 2015.

ثانياً- المراجع باللغة العربية:

1. طلعت، محمد، العلاقات التركية-الروسية مجالات التقارب وقضايا الخلاف، مجلة رؤية تركية، السنة الثانية، العدد الثاني، ص-ص: 103-116. أنقرة: تركيا.
2. خولي، معمر فيصل سليم، العلاقات التركية-الروسية من إرث الماضي إلى آفاق المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة: قطر، بيروت: لبنان، الطبعة الأولى، 2014.

ثالثاً- المراجع الإلكترونية:

1. من موقع السفارة الروسية في تركيا، استرد في 2023/5/1، عبر الرابط:
<https://turkey.mid.ru/ru/countries/bilateral-relations/political-relations/>
2. Relations between Türkiye and the Russian Federation. On the site of Ministry of Foreign Affairs of Türkiye. of the link retrieved in a date 1/3/2023:
<https://www.mfa.gov.tr/relations-between-turkey-and-the-russian-federation.en.mfa>
3. Dış Ticaret İstatistikleri, Ocak 2023. On the site of Türkiye İstatistik Kurumu. of the link retrieved in a date 10/4/2023:
<https://data.tuik.gov.tr/Bulten/Index?p=Foreign-Trade-Statistics-January-2023-49621>
4. Kirişci, Kemal. The implications of a Turkish-Russian rapprochement. On the Site of Brookings. of the link retrieved in a date 1/1/2023:
<https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2016/08/10/the-implications-of-a-turkish-russian-rapprochement>

